

عمر بن عبد العزيز ... العدالة في ثلاثين شهراً

تبوأ الخليفة عمر بن عبد العزيز (٦٨١ - ٧٢٠م) مكانة فريدة في التاريخ الإسلامي لم يصل إليها نخبة من الفاتحين والقادة، وذلك بأعماله العظيمة وإدارته العادلة للدولة، واحتاج لإحداث هذا التغيير في حياة الأمة إلى ... ثلاثين شهراً فقط.

ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم في المدينة المنورة، وإن كان بعض المؤرخين يذكرون أنه ولد بمصر، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب، حيث كانت أمه هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، نشأ بالمدينة المنورة بين أخواله من أبناء وأحفاد الفاروق عمر، حيث كان والده عبد العزيز بن مروان والياً على مصر لمدة عشرين عاماً، وتتلّمذ عمر بن عبد العزيز على عدد من خيرة علماء المدينة المنورة.

وبعد مرحلة طلب العلم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق، وزوجه ابنته فاطمة ثم عينه والياً على إمارة صغيرة من أعمال حلب، وظل والياً عليها حتى توفي عبد الملك بن مروان سنة ٧٠٥م.

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد أبيه سنة ٧٠٥م عين ابن عمه عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة المنورة، وقد استقبله أهل المدينة

استقبلاً حسناً ، فهم يعرفون خلقه وفضله منذ أن نشأ بينهم ، وأحسنوا الظن فيه ، فلم يخيب آمالهم ، وبادر إلى العمل الجاد ، واختار معاونيه من خيرة الرجال ، وأفضلهم قدرة وكفاءة .

وفى فترة ولايته نعمت المدينة بالهدوء والاستقرار وشعر الناس بالأمن والعدل ، وقام بتجديد المسجد النبوي ، وتحسين عمارته ، ثم عزله الخليفة الوليد سنة ٧١١ م بعد أن ظل والياً على المدينة ست سنوات ، ولم يكن عزله عن تقصير وإهمال ، ولكن عزل بسبب وشاية استجاب لها الوليد ، فأخرجه من منصبه ، فعاد عمر إلى الشام ، ولم يتول منصباً .

وظل عمر بن عبد العزيز حتى وفاة الوليد بن عبد الملك سنة ٧١٤ م فى الشام ، فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة من بعده أبقى على عمر ، ولم يوله منصباً وجعله فى بلاطه مستشاراً وناصباً ، ومعاوناً له وظهيراً ، فلما حضرته الوفاة أوصى له بالخلافة من بعده ، لما رأى فيه من القدرة والكفاءة ، والتقوى والصلاح ، والميل إلى الحق والعدل ، فتولاها فى سنة ٧١٧ م .

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بدأ بنفسه وأهل بيته ، فأعاد الأراضى التى وهبت له ولزوجته وأولاده من بيت مال المسلمين ، وطلب من بنى أمية ارجاع ما أخذوه من بيت مال المسلمين بدون وجه حق ، كما جلس ينظر فى مظالم الرعية ، فأعاد إلى الناس ما اغتصبه أفراد أسرته منهم ، وطلب من موظفى الدولة والعمال مراعاة الحذر فى أموال الدولة ، وعدم استخدامها للحاجات الشخصية ، وعزل الولاة الظالمين والعمال القساة وعين بدلاً منهم ولاة جدد ، وكان يراقب تصرفاتهم .

وإذا كان قد أخذ نفسه بالشدّة والحياة الخشنة ، فإنه لم يلزم بها ولاته ، بل وسع عليهم فى العطاء ، وفرض لهم رواتب جيدة تحميهم من الإنشغال

بطلب الرزق ، وتصرفهم عن الإشتغال بأحوال المسلمين ، كما منعه من الإشتغال بالتجارة ، وأعطى لهم الحرية فى إدارة شئون ولاياتهم ، فلا يشاورنه إلا فى الأمور العظيمة ، وكان يظهر ضيقه من الولاية إذا استوضحوه فى الأمور الصغيرة .

عرف عمر بن عبد العزيز قيمة مال الدولة ، فلم ينفقه إلا فيما فيه نفع الأمة ، وكان يكره التصرف فى المال العام بلا ضابط أو رقيب ، وكأنه مال خاص للخليفة أو الوالى ينفقه كيفما شاء ، ويعطيه لمن شاء ، ولذا كان يدقق فى إنفاق مال الدولة لأنه أمانة يجب صيانتها ، ولكل فرد من الأمة حق فيها يجب حفظه ، وأعطى عمر من نفسه القدوة والمثال فى حفظ مال الدولة ، فتبعه ولاته، وانتهجوا طريقته .

وكان من نتائج هذه السياسة أن تدفقت الأموال إلى خزينة بيت المال من موارد الدولة المتنوعة التى حافظ الولاية عليها ، ورعوها حق رعايتها ، وكانت كفيلة بأن تقوم بكل مسؤوليات الدولة تجاه أفرادها وتحسين حياتهم إلى الحد الذى جعله يكتب إلى أحد ولاته : " أن أقضوا عن الغارمين " ، أى أدوا عنهم دينهم ، فكتب إليه : " إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث " ، فكتب إليه عمر : " أنه لا بد للمرء المسلم من سكن يسكنه ، وخادم يعينه ، وفرس يجاهد عليه ... أقضوا عنه فإنه غارم " .

وبلغ من حرصه على الرفق برعيته واحترامه لحقوق الإنسان أن جعل لكل أعمى قائداً يقوده ويخدمه ، ولكل مريضين مرضاً شديداً خادماً لهما ، ولكل خمسة أيتام أو من لا عائل لهم خادماً يخدمهم ، ويقوم على شؤونهم .

وفاض المال فى بيت المال بفضل سياسته الحكيمة وعلته الناصع فمكثه من فرض الرواتب للعلماء وطلاب العلم ، والمؤننين ، وفك رقاب الأسرى ،

وعال أسرهم فى أثناء غيابهم ، وقدم العطايا للسجناء مع الطعام والشراب ، وحمل بيت المال تكاليف زواج من لا يملك نفقاته .

وينكر لعمر بن عبد العزيز أنه اسقط الجزية عن أبناء البلاد المفتوحة الذين دخلوا فى الإسلام ، وكان بعض عمال بنى أمية لما أعوزهم المال بسبب الحروب واشتعال الثورات أبقوا الجزية على هؤلاء .

كما بدأ عمر بن عبد العزيز الخطوة الأولى فى تدوين السنة ، حين كتب إلى الأمصار يأمر العلماء بجمع الأحاديث وتدوينها .

توفى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ودفن فى منطقة دير سمعان من أعمال المعرة بالقرب من حلب فى سوريا ، استمرت خلافته فترة قصيرة جداً ، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلاً فى الرعية قائماً فيها بأمر الله تعالى ، وعندما توفى لم يكن فى سجنه رجل واحد ، وفى عهده انتشر العلم وكثرت المساجد فى أرجاء الدولة الأموية التى تعلم القرآن ، وفى عهده القصير أوقف الحرب مع جيرانه ووسع العمل داخل دولته ، كالشوارع والطرقات والممرات الآمنة ، ودور المياه ودور الطعام، والمدارس ، ونسخ الكتب ، واهتم بالترجمة ونقل العلم والى غير ذلك من الأعمال الخيرة ، حتى دعاه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين .

أول معاجم اللغة العربية

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧١٨ - ٧٨٦ م) الذي ولد في عمان وتوفى في البصرة هو الرائد في هذا المجال ، حيث قام بترتيب المفردات على أساس صوتي وليس على أساس ترتيب الحروف الأبجدية المعروف لدينا الآن ، وعلى هذا فقد رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، وبدأ بحرف العين ... وسمى كل حرف كتاباً وسمى كتابه الأول (العين) جرياً على عادة تسمية العرب الكتب بأول لفظ من ألفاظها.

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي من أهم علماء المدرسة البصرية حيث أسس علم العروض ، وكان معلماً للعالم الكبير سيوييه ، كما قام بتغيير رسم حركات الكلمات ، إذ كانت التشكيلات ترسم على هيئة نقاط بلون مختلف عن لون الكتابة - وذلك أن قام نصر بن عاصم بوضع النقاط على الحروف لتميزها - فكان من الضروري تغيير رسم الحركات ليتمكن القارئ من التمييز بين تنقيط الحركات وتنقيط الحروف ، فجعل الفتحة ألفاً صغيرة مائلة فوق الحرف ، والكسرة ياء صغيرة تحت الحرف ، والضمة واواً صغيرة فوقه ، وإذا كان الحرف منوناً كرر الحركة ، ووضع شيئاً غير منقوطة للتعبير عن الشدة، ووضع رأس عين للتليل على وجود الهمزة وغيرها من الحركات كالسكون

وهمزة الوصل ... وله من الكتب بالإضافة إلى معجم العين ، النغم ،
والعروض، والشواهد والإيقاع.

وكان أول مؤلف يحمل اسم " معجم " هو كتاب أبي يعلى أحمد بن علي
بن المثنى (٨٢٥ - ٩١٩ م) واسمه " معجم الصحابة " ، ومن الجدير بالذكر
هنا أن علماء اللغة الذين دونوا مفردات اللغة قبل هذا المؤلف ، لم يطلق أحد
منهم على كتابه اسم معجم وإنما أطلق اسماً خاصاً بمعجمه مثل " تهذيب اللغة "
أو " الجمهرة " ... الخ .

ثم أطلق لفظ (معجم) على هذا اللون من الكتب اللغوية التي تعالج
اللفظ فتشرح مدلوله ، وما يتصل به لغوياً أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى واحد
أو موضوع واحد في كتاب ... ولقد سميت المعاجم أيضاً بالقواميس نسبة إلى
تسمية الفيروز أبادي معجمه " بالقاموس المحيط " والآن ترادف كلمة قاموس
كلمة معجم .

وإذا أردنا معرفة كيف وصلت الأبجدية العربية التي يستعان بها في
عمل المعاجم إلى ترتيبها الحالي ، فيجب أن نبدأ بالحديث عن الفينيقيين لأن
الفضل يرجع إليهم في اختراع الأبجدية الصوتية الهجائية التي وضعت لكل
صوت من أصوات اللغة علامة خاصة ، وأقدم أشكال هذه الحروف يتمثل في
التقسيم الفينيقي الذي يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد والذي وجد في
(قبرص) ويليه النصب التذكاري للملك (ميشع) ملك " مواب " والذي اكتشف
في عام ١٨٦٨ م وهو الآن محفوظ بمتحف اللوفر بباريس ويرجع إلى ما بعد
سنة ١٠٠ ق.م بقليل.

ومصطلح الأبجدية نسبة إلى لفظ (أبجد) وهي أولى الكلمات التي
جمعت حروف الهجاء الفينيقيّة المكونة من اثنين وعشرين حرفاً مرتبة حسب

ترتيبها في الكلمات الست الآتية :-

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وهي لا تعبر إلا عن الأصوات الصامتة بالإضافة إلى صوتى السواو والياء .

وأضاف العرب أحرفاً ستة على هذه الأبجدية وسموها بالروادف لأنهم أردفوها بحروف الكلمات الست السابقة وجمعت هذه الحروف فى كلمتى (نخذ، ضظغ) فأصبحت حروف الأبجدية بذلك ثمانية وعشرين حرفاً ، وعندما صعب على العرب التمييز بين الأحرف المتشابهة فى شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والتاء انتبه إلى هذا الحجاج بن يوسف أمير العراق ، فأوصى إلى نصر بن عاصم وكان - رساماً وخطاطاً - أن يضع لهذه الحروف المتشابهة علامات تميزها بعضها عن بعض ، فقام بوضع النقط سواء نقطة أو اثنتين أو ثلاثة ، ووضع الحروف المتشابهة مسلسلة ولذلك لم يتفق الترتيب الفينيقى مع ترتيب نصر بن عاصم إلا فى أحرف (كلمن) فترتيبها عنده كما هو فى الترتيب الفينيقى القديم.

وبذلك أصبحت الأبجدية العربية على الترتيب المعروف لدينا الآن.

لا يفتى ومالك بالمدينة

إنه الإمام مالك (٧١٥ - ٧٩٦ م) " أبو عبد الله مالك بن أنس الحميرى " إمام دار الهجرة ، ولد بالمدينة المنورة ، وبدأ فى طلب العلم وهو صغير لم يتجاوز بضع عشرة سنة ، وحرص على جمعه ولازم العديد من كبار العلماء ، وقد بلغ عدد شيوخه حوالى ٣٠٠ من التابعين و ٦٠٠ من أتباع التابعين .

عرف عن الإمام مالك بأنه قوى الحافظة ، وجيد التحرى فى رواية الحديث مدققاً فى ذلك كل التدقيق ، ولا ينقل إلا عن الإثبات ، ولا يغتر بمظهر الراوى أو هيئته ، وروى أنه كان يقول " ما أجبت فى الفتوى حتى سألت من هو أعلم منى هل ترانى موضعاً لذلك سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمرانى بذلك فقلت فلو نهوك ؟ قال كنت انتهى لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه ... ولذلك ضربت به الأمثال كحجة فى الدين فقيل " لا يفتى ومالك بالمدينة "

وقد رأى الخليفة أبو جعفر المنصور أن فئة من الناس يكيدون للإسلام سراً وجهراً بوضع كثير من الأحاديث المكذوبة فى التفسير وأصول الدين ، فكلف الإمام مالك إمام المدينة بجمع كتاب جامع للأحاديث التى صحت عنده فى

الفقه وأصول الدين ويوطئه للناس فوضع كتابه "الموطأ" في أربعين سنة الذي ذاع وأصبح أساساً لكتب الفقه التي ألفت بعده.

قال الإمام الشافعي : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، قال البخارى " أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر " ، وكثيراً ما ورد هذا الإسناد فى الموطأ ، قال للقاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى : الموطأ هو الأصل واللباب وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى .

من مؤلفاته أيضاً الرد على القدرية ورسالة فى القدر وكتاب النجوم والحساب مدار الزمن ورسالة فى الأفضية فى عشرة أجزاء وتفسير غريب القرآن وغيرها ، ورويت عن الأمام مالك المدونة وهى مجموعة رسائل فقهية تبلغ نحو ٣٦ ألف مسألة .

ويعد المذهب المالكي ثانى المذاهب الأربعة فى القدم بعد المذهب الحنفى، ويقال لأصحابه " أهل الحديث " ونشأ هذا المذهب بالمدينة المنورة ثم انتشر بالحجاز ومصر وبعض بلاد أفريقيا والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، ثم ضعف شأنه فى المدينة المنورة وغلب عليه المذهب الشافعي ، واستمر هذا المذهب منتشراً فى مصر إلى أن جاء الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة ، وهجروا غيره من المذاهب الأخرى ، ثم عاد إلى الانتعاش فى الدولة الأيوبية ، وكان فى المرتبة الثانية بعد الشافعي .

الخليفة المهدي يأمر

بجلد بشار بن برد حتى الموت !!

ولد بالبصرة عام ٧١٤ م من أب فارسي وفيها نشأ ... وكان بشار عبداً في البداية ثم اعتق ، كما أنه ولد غير مبصر على أنه كان يشبه الأشياء بعضها ببعض ، فيأتي بمالا يقدر عليه المبصرون .

واتجه بشار بن برد منذ نعومة أظافره إلى حلقات العلم والشعر ... ولم يكد يبلغ العاشرة حتى أخذ الشعر يتدفق على لسانه ، وكان الهجاء يضطرم في موطنه في هذه الفترة فكان طبيعياً أن يكون الهجاء أول موضوع ينظم فيه حيث غلب على شعره المجون والكلمات البذيئة ، ويقال أن أباه كان يضربه بسببه ضرباً مبرحاً لكثرة ما يشكو الناس منه ، وكانت أمه ترجوه أن يترفق به فيجيبها قاتلاً : أنى لأرحمه ولكنه يتعرض للناس ... فقال بشار لو الده : قل لهم أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج) ، وفعلاً عندما عاد الناس إلى "برد" يرددون شكواهم تلا عليهم الآية الكريمة ، فانصرفوا قائلين : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار .

ثم اتجه إلى البادية لإتقان اللغة العربية ، وعاد إلى البصرة وإلى حلقات الفلاسفة ، ويبدو أنه تسرب إليه من هذه المجالس شيء من الفلسفة والمنطق ، ولم تلبث الأمور أن فسدت بينه وبين واصل بن عطاء رأس المعتزلة الذي كانت

تربطه به صلة وثيقة ... حيث تبين أنه يدين بالرجعة أو عودة الإمام المختفى
ويكفر الأمة ، وتتابع منه ما يؤكد على إلحاده ، مثل قوله يشيد بعبادة النار :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وتمادى فى كفره يفضل إبليس المخلوق من النار على آدم المخلوق من
الطين قاتلاً :

النار عنصره و آدم طينه والطين لا يسمو سمو النار

ومضى بشار يعلن زندقته مصرحاً بأنه لا يؤمن إلا بما يشهده الحس ،
فهو لا يؤمن بجنة ولا نار ولا بيعث ولا حساب ... كل هذا جعل واصل بن
عطاء يثور عليه ثورة شديدة وكان مما زاد هذه الثورة أن رآه يكثر الغزل
المادى الأثم الذى يعد خطراً على شباب البصرة ونسائها ، وتم طرده بالفعل من
البصرة .

واتجه يمدح أكثر من والى حتى وصل إلى خالد بن برمك والى فارس
حيث وجد أن بينهما صلة هى الأصل الفارسى ، فشر بشار بإقبال الدنيا عليه
فتغنى بشعوبيته وفخر بها فخراً مسرفاً.

ثم عاد إلى البصرة حيث حدثت ثورة للطلبيين بزعامة إبراهيم بن
عبدالله ، وخيل إليه أن الانتصار فى صف إبراهيم فمدحه بقصيدة رائعة ، ولكن
سرعان ما يخيب فأله إذ قمع المنصور الثورة ، ويسارع بشار فيخير للقصيدة
ويجعلها فى مدح المنصور ، ولكنه لم يستطع الذهب إليه.

ويمضى بشار فى غزله ، على الرغم من أن كل شئ فيه كان ينفر
المرأة إذ كان قبيح المنظر جاحظ العينين يغطيها لحم أحمر ، ولعل هذا القبح

ونفور النساء منه هو الذى كان يستثير عنده الغريزة ويدفعه إلى الإقراط فى الغزل المكشوف ، على أن هذا الغزل نفسه جعل بعض بنات الهوى يقبلن عليه ويتغنين بشعره ... وعلى الرغم من هذا الغزل المكشوف إلا أنه كتب عدداً من القصائد الشعرية الرقيقة منها البيتين التاليين :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذى؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وعندما توفى المنصور وتولى المهدي الحكم ذهب إليه بشار بن برد يمدحه ، وأغرق عليه الهبات ، وكان المهدي يتميز بالشدة فى شئون الدين وعلم أن بشاراً يفسد النساء والشباب بغزله الفاضح فأمره أن يكف عن ذلك ، وكف بشار على مضض ... وأخذ يردد فى أشعاره أنه ترك الغزل نزولاً على إرادة الخليفة ، وتضايق المهدي إذ كان يراه لا يكف عما نهاه عنه ، وترامت إليه أنباء زندقته وما يفرق فيه من مجون فمنع عنه عطاياه ... ثم تعقب المهدي الزنادقة وقتل منهم الكثير ، ومكث بشار فى البصرة خوفاً على نفسه ، غير أن صمته لم يطل فأخذ فى رثاء أصدقائه الزنادقة الذين قتلوا .

وهجا بشار بن برد المهدي ووزيره يعقوب بن داود هجاءً مقذعاً ، فجاء المهدي إلى البصرة وتأكد أن بشار زنديق فعلاً حيث سمعه يؤذن وهو ثمل فى غير وقت الصلاة وعرف أنها عادته ، وعندئذ أمر بضربه حتى الموت فضرب سبعين سوطاً مات على أثرها ، ولم يتبع جنازته سوى امرأة واحدة هى جاريتها السوداء .

عبدالرحمن الداخل ... فتح الأندلس

هو عبد الرحمن بن معلوية بن هشام بن عبد الملك (٧٣١ - ٧٨٨ م)
الملقب بصقر قریش ، نشأ عبد الرحمن فى بيت الخلافة الأموى بدمشق ، وكان
أحد الأمراء الأمويين المرشحين للخلافة ، هرب من العباسيين عند قيام دولتهم
إلى الأندلس حيث دخلها ، وأكمل فترة الخلافة الأموية ، وسمى لذلك
عبدالرحمن الداخل .

ف عندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية ، كان هدفهم
تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموى ، قتلوا الأمراء وأبناء الأمراء
بل وأحفادهم ، وكل من توقعوا أن يكون أملاً للإمارة خضية محاولة أحدهم
استرداد مجدهم لاسيما فى الشام ، وبنلوا الجهود المضنية لتحقيق هذا الهدف .

ونجح العباسيون فى الفتح بالأمويين باستثناء عبد الرحمن بن معلوية بن
هشام الذى اختبأ فى قرية منزلة قريبة من الفرات ، وكان معه ابنه الطفل
سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات ، وأخ أصغر وأختين ، وعندما اكتشفت
الشرطة مكنتهم هرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معلوية عبر بعض
البيساتين فلما تعقبتهما الشرطة ، حلولا عبور النهر فأغرتهما الشرطة أن يرجعا
ولهما الأمان فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون وكان عمره ثلاثة عشر

سنة، بينما نجح عبد الرحمن في الوصول إلى الضفة الأخرى بسلام ولم تتطلى عليه مكيدتهم ولحق به مولاة بدر طبقاً لخطة سابقة .

بعد أن فر عبد الرحمن بن معاوية من الشام وصل إلى القيروان وعمره تسع عشرة سنة ، وهناك وجد ثورة كبيرة للخوارج في الشمال الأفريقي كله وعلى رأسها عبد الرحمن بن حبيب ، وكان قد استقل بالشمال الأفريقي عن الدولة العباسية ، ولأنه كانت هناك كراهية شديدة بين الخوارج والأمويين فقد كان عبد الرحمن بن حبيب يسعى هو الآخر للقضاء على عبد الرحمن بن معاوية حين علم بأمره ، فحين قدم عبد الرحمن بن معاوية إلى القيروان اجتمع عليه الخوارج وكادوا أن يقتلوه ، فهرب من جديد إلى برقة (في ليبيا) وظل مختبئاً فيها عند بعض أحواله هناك طيلة أربع سنوات كاملة حتى سنة ٧٥٤م وكان قد بلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة .

كانت الأندلس أصلح البلدان لاستقباله وذلك لأنها أبعد الأماكن عن العباسيين والخوارج ولأن الوضع في الأندلس ملتهب حيث انقسمت الأندلس إلى فرق عديدة متناحرة ، وثورات لانهاية ، كل يريد التملك والتقسيم وفق عنصره وقبيلته .

بدأ عبد الرحمن بن معاوية يعد العدة لدخول الأندلس ، حيث أرسل مولاة بدر إلى الأندلس لدراسة الموقف ، ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيها ، وراسل كل محبي الدولة الأموية في أرض الأندلس بعد أن علمهم من مولاة ، ثم راسل البربر في الأندلس ، وطلب معونتهم ومساعدتهم ، وكانوا في ذلك الوقت على خلاف شديد مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، لأنه فرق بينهم وبين العرب ، وراسل كل الأمويين في كل الأماكن واخبرهم أنه يعتزم دخول الأندلس ويطلب معونتهم ومندهم.

وفى عام ٧٥٥ م عبر عبد الرحمن للمضيق وانضم إلى أنصاره وزحف إلى اشبيلية واستولى عليها وبيعه أهلها ، ثم نجح فى دخول قرطبة العاصمة ، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فى موقعة المصارة .

بعد موقعة المصارة والسيطرة على منطقة قرطبة والجنوب الأندلسى لقب عبد الرحمن بن معاوية بعبد الرحمن الداخل ، لأنه أول من دخل من بنى أمية قرطبة حاكماً .

بويع عبد الرحمن بالإمارة فى قرطبة ، وأعلن نفسه أميراً على الأندلس فوق منبر مسجد قرطبة الجامع ، ولم يكن عبد الرحمن قد تجاوز العاصمة والعشرين من عمره ، ولم يشأ عبد الرحمن أن يعطن نفسه خليفة لأن فكرة الخلافة عند فقهاء السنة فى ذلك الوقت تقتضى بأن خلافة المسلمين واحدة لا تتعدد ، وأن الخروج منها عصيان فضلاً عن الخلافة هو حاسى الحرمين الشريفين ويسيطر على الحجاز .

حاولت الخلافة العباسية أن تضم الأندلس إلى دولتها ولكن عبد الرحمن الداخل وقف لهم وحاربهم وانتصر عليهم ، حتى لقبه العباسيون أنفسهم بصقر قريش وهو اللقب الذى اشتهر به بعد ذلك ، فقد كان أبو جعفر المنصور جالساً مع أصحابه فسألهم : لتدرون من هو صقر قريش ؟ فقالوا له : بالتأكيد هو أنت ، فقال لهم : لا . فعددوا له أسماء حتى نكروا له معاوية وعبد الملك بن مروان من بنى أمية ، فقال أيضاً : لا ، ثم أجابهم قائلًا " بل هو عبد الرحمن بن معاوية ، دخل الأندلس منفرداً بنفسه ، مؤيداً برأيه ، مستصحباً لعزمه ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياً فمصر الأمصار وجند الأجناد ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بصن تدبيره وشدة عزمه " .

كانت مدة حكمه ٣٣ سنة اهتم فيها بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً ، وفى الجانب العسكرى اهتم عبد الرحمن الداخل بإنشاء جيش قوى ، وبرغم قدوم

عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وحيداً ، فقد وصل تعداد الجيش في عهده إلى مائة ألف فارس ، كما أنشأ دوراً للأسلحة ، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق ، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل ، وأنشأ أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً ، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة والمرية وإشبيلية وبرشلونة وغيرها من الموانئ ، وكان يقسم ميزانية الدولة السنوية إلى ثلاثة أقسام قسم ينفقه بالكامل على الجيش ، والقسم الثاني لأمور الدولة العامة من مؤن ومعمار ومرتبات ومشاريع وغير ذلك ، والقسم الثالث كان يدخره لأحداث الزمان غير المتوقعة .

كما أعطى عبد الرحمن الداخل العلم والجانب الديني المكانة اللائقة بهما، فعمل على نشر العلم وتوقير العلماء ، واهتم بالقضاء والحسبة ، واهتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان من أعظم أعماله في الناحية الدينية بناء مسجد قرطبة الكبير .

والى جانب ذلك برز اهتمامه الكبير بالإنشاء والتعمير ، وتشديد الحصون والقلاع والقناطر ، وربطه أول الأندلس بآخرها ، وإنشائه أول دار لسك النقود الإسلامية في الأندلس ، وإنشائه الرصافة ، وهي من أكبر الحدائق في الإسلام ، وقد أنشأها على غرار الرصافة العربية ، والتي أسسها جده هشام بن عبد الملك ، وقد أتى لها بالنباتات العجيبة من كل بلاد العالم .

الخوارزمي ... يؤسس علم الجبر

محمد بن موسى الخوارزمي (٧٨١ - ٨٤٥ م) ... واحد من أبرز علماء الرياضيات المسلمين ... انتقلت عائلته من مدينة " خوارزم " بلوزبكستان حالياً إلى العراق حيث أنجز معظم أبحاثه بين عامي ٨١٣ - ٨٣٣ م في دار الحكمة التي أسسها الخليفة المأمون بالعراق .

ويعتبر الخوارزمي منسئ علم الجبر كعلم مستقل ، فقد ألف كتاباً مهماً في هذا المجال " حساب الجبر والمقابلة " ، وقد قصد الخوارزمي بالجبر نقل الحدود السالبة من أحد طرفي المعادلة إلى الطرف الآخر لتكون موجبة ، أو نقل الحدود التي تحتوى على المجهول إلى طرف واحد ، ونقل الأعداد إلى الطرف الآخر ... وقصد بالمقابلة اختصار ما يجوز اختصاره بعد عملية الجبر ، وإيجاد قيمة المجهول وذلك في معادلة الدرجة الأولى ، وقد عنى الخوارزمي في كتابه بمعادلة الدرجة الثانية ، فرتبها وبوبها وصنفها تبعاً لنقل الحدود السالبة من أحد طرفي المعادلة إلى الطرف الآخر لتكون موجبة وعالج كل صنف منها واعترف بالجنور الصماء .

وقد شرح وعلق الكثيرون على هذا الكتاب ، وتناوله الغربيون بالعناية وكان لهم مرشداً ومعلماً حتى أنهم أبقوا لفظ الجبر (Algebra) كما سماه في

كتابه علماً على هذا العلم ، كما أن الكلمة الإنجليزية (algorithm) ومعناها الأعداد العربية (نظام العد) من واحد إلى تسعة إنما هي مشتقة من اسم الخوارزمي ، كما أدخل مفهوم العدد صفر وقد تعلمت أوروبا العلامات العشرية من الترجمة اللاتينية لمؤلفاته في الحساب والجبر ... وبقيت معادلة الدرجة الثانية كما تركها الخوارزمي حتى القرن السادس عشر .

وفي الجغرافيا صحح الخوارزمي أبحاث العالم الأخرقي بطليموس ، معتمداً على أبحاثه الخاصة ، ومن أشهر كتبه في الجغرافيا كتاب " صورة الأرض " الذي يحتوي على خرائط أدق من تلك التي نشرها بطليموس بالإضافة إلى العديد من التحسينات الأخرى.

نكبة البرامكة

نكبة البرامكة مصطلح يشير إلى ما وقع للبرامكة على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد من قتل وتشريد ، ومصادرة أموال ، وقد كانوا وزراء الدولة وأصحاب الأمر والسلطان ، وهى من أهم الأحداث السياسية المؤثرة فى حكم هارون الرشيد ، وفى التاريخ السياسى الإسلامى بشكل عام ، وكان لها أثر كبير من حيث توصيفها للعلاقة بين العرب والفرس فى مجال الحكم والسلطن.

فالبرامكة عائلة فارسية شهيرة نال الكثير من رجالها المناصب القيادية العليا بالدولة العباسية ، وكان أجدادهم قبل الإسلام مجوساً يعبدون للنار ، وكلمة برمك تعنى خادم بيت النار ... وقد كان جدهم برمك بن عبد الله من أسرى الحملة الإسلامية التى وجهت إلى خراسان فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالمك ، ثم أسلم ، وكان عارفاً بالنجوم والحساب والحكمة ، وتقرب من الخليفة حين قام بعلاجه ، ثم لعب ابنه خالد بن برمك دوراً كبيراً فى إسقاط الدولة الأموية ، ولذلك ولاء الخليفة العباسى أبو العباس السفاح ديوان جنده والخراج ، ثم عينه وزيراً حتى توفى .

وتولى ابنه يحيى بن خالد البرمكى عدة مناصب ، فقد كان والياً على أنريجان قبل وفاة والده بسبع سنوات أثناء خلافة المهدي والد هارون الرشيد ،

ثم عين مستشاراً ومربياً لهارون الرشيد قبل توليه الخلافة ، وكان ابنه الفضل بن يحيى أخو هارون الرشيد فى الرضاة ، وقد وكله هارون الرشيد فيما بعد تربية ابنه الأمين ... إلا أن موسى الهادى (شقيق هارون) كان يحقد على البرامكة ، وسجن والدهم يحيى بن خالد البرمكى لأنه لم يوافقه على عزل هارون الرشيد من ولاية العهد ، وأخذ البيعة لابنه الصغير جعفر .

وبعد مقتل موسى الهادى ، واعتلاء هارون الرشيد الخلافة عام ٧٨٦م ، قام بالإقراج عن يحيى البرمكى من السجن ، وقربه إليه ، وقلده الوزارة ودفن إليه بخاتم الملك تقديراً لموقفه ، وكان لا يناديه إلا بكلمة " أبى " ... وتولى أبناء يحيى المناصب الكبرى فى الدولة ، فكان جعفر بن يحيى والى مصر ، والفضل بن يحيى والى خراسان .

وتصاعدت مكانة البرامكة ، وأصبحوا ذوى نفوذ وكلمة لا ترد ، وصاروا يدخلون على الخليفة فى أى وقت يشاؤون ، وتغير حالهم فأصبحوا يغيرون فى ولايتهم وأمراتهم وقوادهم دون الرجوع إلى الخليفة ، وصار الناس يتكلمون فيما صار إليه أمر الخليفة من ضعف وأن الأمر كله صار فى يد البرامكة ، وزاد من ذلك كله حادثة يحيى بن عبد الله الطالبى الذى خرج إلى بلاد الديلم ودعا لنفسه هناك ، وبايعه كثير من الناس ، وقويت شوكته ، فأرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى ، واستطاع الفضل أن يجعل يحيى الطالبى يتراجع بشرط أن يعطيه الرشيد الأمان ، وعد ذلك من أفضل أعمال الفضل ، وبعد فترة ظهر من يحيى ما أوجب عند الرشيد أن يأمر بإبقاء يحيى الطالبى عند جعفر بن يحيى لثقته فيه ، وفى ذات ليلة اجتمع يحيى مع جعفر ، وما زال به حتى أطلقه جعفر دون علم الخليفة ، وزوده بالمال اللازم لخروجه من بغداد ، فوصل الخبر للرشيد ، وكان ذلك يعد خيانة عظمى ، وعندما فاتح هارون الرشيد جعفر بالأمر ، أنكره فى البداية ثم اعترف ، وأضمرها الخليفة فى نفسه .

لقد أصبح البرامكة مركزاً من مراكز القوى في الدولة العباسية ، وكانوا يعيشون في ترف شديد ، حتى أنهم كانوا يبنون قصورهم ويضعون على الحوائط بلاط الذهب والفضة ، وبنى جعفر بيتاً له كلفه عشرين مليوناً من الدراهم ، وكان الرشيد في سفر ذات يوم ، فلم يمر على قصر ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له هذا لجعفر بن يحيى البرمكي ، وعندما عاد الفضل من حربه في الديلم أطلق لمادحيه ثلاثة ملايين درهم ، وهذا الاسراف جعل الرشيد يتابعهم في الدواوين والكتابات ، فاكتشف وجود ظل كبير في مصاريف الدولة .

كما كون الفضل بن يحيى البرمكي جيشاً من جنود خراسان تعدده خمسين ألفاً ، وجعل ولاءه له مباشرة دون غيره ، ثم استقدم منهم عشرين ألفاً لبغداد ، مما حرك هواجس الرشيد ، كما بدأ البرامكة مخططاً بإبعاد العرب من نوى الحظوة لدى الرشيد ، واتهامهم بالخيانة ، وتقريب الفرس والأعاجم وتوليهم أمور الجند والخراج .

وإزاء تعاظم نفوذ البرامكة ، واحتدام الصراع بين الفريقين ، بدأت الأمور تتخذ منحى جديداً ، بعد أن نجحت السامس والوشايات في إيغال صدر الرشيد على البرامكة ، وذلك بتصويره بمظهر العاجز أمام استبداد البرامكة بالأمر دونه ، والمبالغة في إظهار ما بلغه هؤلاء من الجرأة على الخليفة ، وتحكمهم في أمور الدولة ، حتى قرر الرشيد التخلص من البرامكة ووضع حد لنفوذهم .

ولم يكن ذلك بالأمر الهين أو المهمة السهلة ، فقد تغفل البرامكة في كل أمور الدولة ، وصار لهم كثير من الأنصار والأعوان ، فاتبع الرشيد سياسة الكتمان ، واستخدم عنصر المفاجأة حتى يلحق بهم بالضربة القاضية .

وفي ليلة السبت (أول صفر ١٨٧ هـ - ٢٩ من يناير ٨٠٣ م) ، أمر

رجاله بالقبض على البرامكة جميعاً ، وأعلن أن لا أمان لمن آواهم ، وأخذ أموالهم وصادر دورهم وضياعهم ، وفى ساعات قليلة انتهت أسطورة البرامكة وزالت دولتهم ، وتبددت سطوة تلك الأسرة التى انتهت إليها مقاليد الحكم وأمور الخلافة لمدة ١٧ عاماً ، وكان منهم الوزراء والقادة ، ولم يستثن هارون الرشيد منهم إلا محمد بن خالد بن برمك وولده وأهله وحشمه لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة ، وأمر هارون الرشيد بقتل جعفر بن يحيى البرمكى وكان عمره ٣٧ سنة ، وتم سجن يحيى البرمكى مع ولده الفضل حتى ماتا بالسجن .

وكان لنكبة البرامكة أكبر الأثر فى إثارة شجون القومية الفارسية ، فعمدت إلى تشويه صورة الرشيد ، حتى طغت تلك الصورة لدى البعض على ما عرف عنه من شدة تقواه ، وحرصه على الجهاد والحج عاماً بعد عام ، وأنه كان يحج ماشياً ، ويصلى فى كل يوم مائة ركعة .

وقد اختار هارون الرشيد بعد ذلك وزراءه ومستشاريه من العرب ، وجعل الفضل بن الربيع الذى كان أبوه حاجباً للمنصور والمهدى والهادى وزيراً له ، وكان الفضل خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم ، فلما ولى الوزارة جمع إليه أهل العلم والأدب ، وما زال على ذلك حتى توفى هارون الرشيد عام ٨٠٩ م .

المعلم الثاني

الفارابي ... وهو أول فيلسوف يضع أسساً في المسائل السياسية ، وله كتاب اسمه "رسالة في السياسة" ويؤكد للكثيرون أن مكيا فيلي كان يسترشد بكتاب الفارابي ليرسم خططه السياسية للقضاء على مخلفات العصور الوسطى وقد استرشد بآراء الفارابي الفيلسوف ديكرت واعترف هو نفسه بذلك.

وهو أول من اخترع آلة القانون للموسيقية وله عدة مؤلفات في الموسيقى ، وقد ولد بمدينة فلراب وهي جزء من تركستان وقضى فترة من حياته في مدينة بغداد وأخرى في مدينة حلب وأخيراً مات بدمشق عام ٩٥٠ م .

يسميه علماء وفلاسفة الغرب " المعلم الثاني " والمقصود أنه الثاني في الترتيب التاريخي لأنه جاء بعد أرسطو " المعلم الأول " ، ولقد ناقش الفارابي فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو وخرج منها بنظريات جديدة وله مؤلف عظيم يدرس في جامعات أوربا اسمه " أجوبة أفلاطون وأرسطو " ... كان يحلم بتحقيق المثالية بين الناس وله مؤلف " آراء أهل المدينة الفاضلة " ، وقد نقل الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون جانباً كبيراً من كتاب الفارابي ونسبه لنفسه في كتاب اسمه " الاتلانتيدي الجديدة " وهي دولة تخيلها بيكون مدينة مثالية كما تخيلها الفارابي .

كان غزير المادة وترك أكثر من مائة كتاب من تأليفه أشهرها كتاب " ما ينبغي أن تعلم قبل الفلسفة " وكتاب " مقال في العقل " و " توصيل السعادة " ... وكان لا يؤمن بالتخصص في الدراسة وتحصيل العلم ويرى أن العقل البشري إذا أحسن استغلاله يمكن أن يستوعب كل شيء ، فطاقته لا يحدها إلا التكاسل وقد أراد أن يثبت هذه النظرية فدرس إلى جانب كل المجالات السابقة الفلك والرياضيات وبرع في اللغات فكان يتحدث لليونانية والتركية والفارسية والهندية والسوربالية.

عباس بن فرناس ... رجل سبق زمنه

من رواد الفكر والعلم الإسلامي في الأندلس ، عاش بين عامي (٧٩٦ - ٨٨٧ م) كان شاعراً وفيلسوفاً وعالماً فلكياً ، فقد أدخل علم العروض في الشعر الأندلسي ، وهو أول من صنع في الأندلس الزجاج من السليكا ، واخترع ساعة لقياس الزمن تعتمد على الظل وقياس درجاته وحساب الدقائق والثواني في النهار والليل ، وابتكر لأول مرة القبة السماوية كما نعرفها الآن ، ومثل فيها النجوم والغيوم والبرق والرعد ، كما سبق مخترعي الأقلام الحديثة حين صنع ما يشبه القلم الحبر ، وبرع في علم الكيمياء وطبق كثيراً مما عرف فيما بعد بعلم المعالجات الحرارية للمعادن ... ولكن أهم أعماله كلها كانت اهتمامه بالطيران.

وقد حاول عباس بن فرناس تقليد الطير من أجل الصعود في الجو ، وتعتبر هذه المحاولة بمثابة أول الطريق إلى غزو الفضاء ويرجع تاريخ هذه المحاولة إلى عام ٨٨٠ م ... وقد عمد إلى تغطية جسمه بالريش ظناً بأن الريش يقلل وزن الجسم ، كما مد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتأذى ظهره ... واستمرت محاولات الطيران بعد ذلك حتى عام ١٦٨٠م أي أكثر من ٨٠٠ سنة حتى أثبت عالم الرياضة " يونان الفونسو " بأن الإنسان

لايستطيع الطيران على حساب قوة عضلاته المحركة كما يفعل الطير ، ويرجع السر في ذلك إلى أنه إنما يحتاج إلى أجنحة لا يقل طولها عن ستة أمتار ، والأجنحة بهذا الطول تكون بطبيعة الحال ثقيلة بحيث يتعذر على العضلات البشرية تحريكها باستمرار وبالسرعة الكافية ... هذا علماً بأنه في حالة الطيور تزن العضلات المحركة للأجنحة نحو ثلث وزن الطائر بأكمله.

عقب ذلك أعرض الإنسان عن استخدام الأجنحة المرفرفة ، واستعاض عنها بوسائل أخرى مثل الأسطح الخفيفة التي تحركها الأيدي والأرجل ، ولكن لم تنجح تلك المحاولات كذلك وصرف الناس النظر عن فكرة استخدام العضلات على أية صورة .

ثم ظهرت بعد ذلك فكرة الطيران الشراعى فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم مرحلة المناطيد والبالونات ، وكانت رحلة الطيران التي قام بها فى عام ١٧٨٣م " بيلاىر دى روزييه " و " المريكيز دارلاندى " فى بالون مملوء بالهواء الساخن هى أول رحلة يقوم بها الإنسان فى مركبة " أخف من الهواء " ، وأعقب ذلك فى الشهر التالى أول رحلة فى بالون مملوء بالهيدروجين ، وطار بالون الهواء الساخن فوق باريس ، ووصل إلى ارتفاع ألف متر وهبط على الأرض بعد ٢٥ دقيقة فى الهواء ، ولقد استمر الطيران فى مركبة أخف من الهواء لمدة تزيد على مائة عام.

وفى ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ قام الأمريكان ويلبر واورفيل رايت بأولى رحلات الطائرات فى التاريخ فى طائرتهم المزودة بمحرك ، وقد طارا بسرعة ٤٨ كم فى الساعة تقريباً ... وطارا أربع رحلات وكان أنجح طيران لهما حوالى ٠,٨ كم فى ٥٩ ثانية ... وتم ذلك فوق أحد شواطئ كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية .

المكان الوحيد ... الذى لا تستطيع أن تتجه بعده إلا إلى الشمال

القطب الجنوبي ... أقصى نقطة بجنوب الكرة الأرضية ويستطيع أى إنسان أن يصل إليه إذا اتجه جنوباً من أى موقع على سطح الكرة الأرضية ثم استمر فى السفر حتى يصل إليه ، وهناك لا يستطيع أن يتجه إلا إلى ناحية واحدة فقط هى ناحية الشمال .

والقطب الجنوبي يقابل القطب الشمالى من الناحية المضادة لطرفى محور الأرض ، ويعيش فى ليل دائم طوال ستة شهور من السنة ونهار دائم طوال الشهور الستة الأخرى ، والشمس تشرق عليه عندما يكون القطب الشمالى فى ظلام ، وتغرب عنه والقطب الشمالى فى نهار ، أضف إلى ذلك أن درجة البرودة فيه أشد وأقصى ، وأنه يقع وسط كتلة من الليابس هى القارة القطبية أو "انتاركتيكا" ولذلك لا يمكن لأى غواصة أن تعبره كما فعلت الغواصة " نوتيلس" عندما عبرت القطب الشمالى.

بمساحته البالغة ١٤ مليون كم مربع فإن القطب الجنوبي لا يمثل أكبر القارات ، فآسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية و الجنوبية جميعها تفوقه من حيث الامتداد ، واستراليا هى القارة الوحيدة الأصغر ، ومع ذلك فإنه فى معظم الأوجه الأخرى يسجل أرقاماً قياسية ، فما يقارب ٩٨% من سطحه مغطى

بالتلج ، وهذا الثلج يمثل ما يقارب ٩٠% من ثلج العالم ، وأن أسماك نقطة فيه تمثل عموداً يرتفع إلى ما يزيد على ٤ كم ، مما يجعل من القطب الجنوبي أعلى قارة على الأرض ، وبوجود الرياح التي تتجاوز سرعتها ٣٠٠ كم فى الساعة ، فإن معدل درجة الحرارة فى الصيف يبلغ ٤٠ درجة تحت الصفر ، إنها القارة الأبرد ، والأكثر جفافاً والأكثر عواصفاً ، فالقطب الجنوبي عبارة عن صحراء جليدية لأن الجليد صلب إلى درجة لا يمكن لأى كائن حتى أن يستفيد منه على الإطلاق ، ولو ذاب نصف جليد القطب الجنوبي لارتفع منسوب بحار العالم بمقدار (٥٠) متراً ولما بقى من باريس ونيويورك وهامبورج وطوكيو وكلكتا وسنغهاى سوى مجرد ... نكري!.

وبالقرب من الشواطئ حيث يسقط الثلج ويوجد بعض الماء فهناك القليل من أشكال الحياة مثل بعض الطحالب والفطر وفى بعض نواحي الشواطئ توجد حصيرة من النباتات البدائية ولا تنبت على أرض القارة إلا نبتتان مزهرتان ، وكل ما ينمو هناك ينمو ببطء شديد .

وهناك جزر أيضاً حيث تتوالد طيور البحر والفقعات ومع أنه لا توجد أنواع كثيرة من العوالق النباتية هناك إلا أنها تتزايد بسرعة مذهشة فى أيام الصيف الطويلة ، وتنتج مياه القطب الجنوبي حوالى ٢٠% من مجموع غذاء العالم البحرى فالدياتوم الذى تتكون منه العوالق النباتية بغذى أعداداً هائلة من العوالق الحيوانية التى يعتمد عليها الأخطبوط والأسماك والطيور والفقعات والحياتان لمعيشتها .

و يسيطر الجليد على كل شئ حتى فى البحر ففي الشتاء يجمد سطح الماء ويصبح قطعة صلبة وينكسر فى الربيع فتطوف القطع المجمدة على سطحه وتحثك بالشواطئ حيث لا يمكن لأى شئ أن يعيش ، ولكن تحت هذا الجليد

حيث تجرى مياه دافئة تجئ من محيطات دافئة ، فيوجد الإسفنج والتوتيا وسمك النجمة والمرجان والطحالب التي تنمو في الصيف هناك .

ولا يوجد سوى ١٠٠٠ شخص يعمل هناك طوال العام ينضم إليهم حوالي ٢٠٠٠ خلال الصيف حيث تشكل موقعا مفضلا للأبحاث العلمية فهي من أكثر الشواهد على التاريخ الجيولوجي للأرض ، ودراسة الأجواء العالية ، والأشعة الكونية ، وجاذبية الكوكب والمناخ .

وإضافة إلى حالات التطرف الجغرافي ، فإن القارة القطبية الجنوبية تشكل طرفة سياسية ، فبالرغم من الفطيرة ذات الشرائح الملونة الموجودة في العديد من الخرائط ، لا يوجد هناك أي بلد يمتلك أي جزء من القارة ، وفي عام ١٩٥٨م وبعد إكمال "علم الجغرافية الدولية" (IGY) التي شهدت إقامة العديد من القواعد الدائمة ، دعا الرئيس الأمريكي أيزنهاور للدول الأخرى للمشاركة في IGY إلى التوصل إلى اتفاق يهدف إلى ضمان "أن القارة الواسعة غير المأهولة من القارة القطبية الشمالية لن تستخدم إلا للأغراض السلمية" ، وما نتج في العام التالي كان عبارة عن معاهدة القطب الجنوبي ، فقد اتفقت الدول الخمسة وأربعين الموقعة عليها على تطبيق النزاعات و المطالب الإقليمية للفترة حولها ، وعلى الامتناع عن جميع الأنشطة العسكرية وعمليات التنقيب ، حماية للقطب الجنوبي وصيانة القارة على اعتبارها "محمية طبيعية ، مخصصة للسلام والعلم" .

أوروبا تدرس مؤلفات الرازي حتى القرن السابع عشر

حين استندانت جامعة باريس في القرن الرابع عشر مبلغاً كبيراً من المال من ثرى فرنسى ، لبناء بعض مبانيها التى تهدمت ، لم يجد للثرى ضماناً تملكه الجامعة للمال الذى دفعه أكثر من كتاب " الحاوى " أعظم مرجع طبى تمتلكه الجامعة فى مكتبتها للضخمة ... إنه كتاب أبو بكر الرازي.

ولد أبو بكر الرازي (٨٦٤ - ٩٣٢ م) بالقرب من طهران ، وقضى معظم شبابه فى بلاد فارس ، ثم سافر إلى بغداد وكان عمره حينذاك قد تجاوز الثلاثين ... وعلى الرغم من أنه فى صباه كان مولعاً بالشعر والغناء والموسيقى، إلا أنه أعرض عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة حتى أصبح أشهر طبيب فى زمانه.

لقد أجمع المؤرخون على أن مؤلفات الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي وكلها باللغة العربية تمتاز بأصالة البحث وسلامة التفكير ، وقد زاد عدد كتب الرازي على المائتى كتاب فى الطب والفلسفة والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى.

يقال أن الخليفة العباسى المعتضد ، حين استشاره بخصوص المكان الذى يجب أن يبنى فيه بيمارستان (مستشفى) ... كانت للرازي طريقة

مبتكرة، إذ وضع قطعاً من اللحم فى أماكن متفرقة من بغداد ، وراح يلاحظ فساد قطع اللحم تباعاً ... وفى المكان الذى فسدت فيه آخر قطعة من اللحم اختار أن يبنى اليبمارستان ، والذى اختير كإول مدير له من بين مائة طبيب تقدموا للعرض على الخليفة المعتضد.

وقد تجلت شهرة الرزى فى الطب من كونه كان مبتكراً لأشياء لم يسبقه أحد إليها ، من ذلك مثلاً أنه استخدم الموسيقى لوناً من ألوان العلاج ، كذلك كان أول من عرف تأثير الضوء فى حنقة العين. كما كان صاحب الفضل فى طب الأطفال ، إذ جطه فرعاً فى الطب قائماً بذاته ، وكان يسلك فى علاج المرضى مسلماً علمياً يشهد له بالعبرية ... فلم يكن يسمح لمرضاه بتناول دواء إلا إذا قلم بتجربته على الحيوان .

ومن بين الأسباب التى ساعدت على تفوقه فى الطب ، أنه كان نابغاً فى الكيمياء ، فعاونه ذلك على إعداد الأدوية بنفسه .. فكان يعمل طبيباً وصيدلياً فى آن واحد.

وكان أول من استخدم مركبات الرصاص فى صنع المراهم ، ولول من توصل إلى استخدام الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوانات فى خياطة الجروح فى العمليات الجراحية ... وكان الرزى أول من علاج الحمى بالماء البارد سابقاً بذلك أطباء العصر الحديث ، وهو أيضاً أول من تنبه إلى العدوى الوراثية ... وأول من وصف بدقة مرض الجدري وميزه عن مرض الحصبة ... وللرزى فضلاً عن ذلك ابتكارات طبية تعد من أسس المعالجة الحديثة فى الأمراض التناسلية والولادة وجراحة العيون ... كما نبه الرزى إلى أثر العامل النفسى فى صحة المريض.

من أهم مؤلفاته كتاب " المنصورى فى الطب " وبه وصف تشريحى

دقيق لكل أعضاء الجسم وقد سماه كذلك تقديراً لمنصور بن إسحاق حاكم مدينة الري بفارس حين عينه مديراً لبيمارستان مدينة الري ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، وطبع مرات عديدة في أوروبا ، وكان إلى جانب كتاب " القانون " لابن سينا من أعظم المراجع التي يعتمد عليها في تدريس الطب بأوروبا حتى القرن السابع عشر ... كما وضع كتاب " الطب الروحاني " الذي يختص بالجانب النفسى للإنسان.

ومن كتبه أيضاً كتاب " الشكوك على جالينوس " الذي انتقد فيه الرازى ثمانية وعشرين كتاباً لجالينوس ، وكتاب " منافع الأغذية " و " سر الأسرار " ، و " الجدرى والحصبة " الذي سبق فيه أطباء عصره بوصف هذين المرضين ... وكتاب " الجامع الكبير " وهو كتاب فى الطب وضعه فى خمس عشرة سنة.

ويأتى على رأس كل تلك الكتب والرسائل ، أهم كتاب للرازى وهو "كتاب الحاوى" فى الطب ... الذى يعتبر موسوعة طبية كما وصفه كثير من المؤرخين ، وقد سمي الرازى كتابه " الحاوى " لأنه يحتوى على جميع كتب وأقاويل القدماء من علماء الطب.

وقد فاقته شهرة هذا الكتاب غيره من الكتب الطبية ولقيته العالمة العظيمة ، اختصره كثير من الأطباء منهم على بن داود حوالى سنة ١٣٠م ... كما ترجم إلى اللاتينية سنة ١٤٨٦ م ، ثم طبع بعدها بقليل فى إيطاليا ... وكان أضخم كتاب يطبع بها بعد اختراع المطبعة مباشرة ... ثم أعيد طبعه مراراً فى القرن السادس عشر الميلادى.

هل ادعى المتنبى النبوة !!؟

ولد أبو الطيب المتنبى بالكوفة (٩١٥ - ٩٦٥ م) ، سافر به والده إلى الشام وأخذ يتنقل به من البادية إلى الحضر ويتردد به على القبائل حتى توفي ، وخلال ذلك كبر أبو الطيب وأخذ ينظم الشعر وبرع فيه .

وقد نشأ أبو الطيب محباً للعلم متعلقاً به يحرص على قراءة الكتب ودواوين من سبقه من الشعراء وكان قوى الحافظة ، وقضى فترة في " بادية السماوة " حتى يتلقى اللغة من الأعراب فلا يعجم لسانه ويحيط بأسرارها وربما كان هذا سر تمكنه من اللغة .

ويقول بعض المؤرخين إن المتنبى ادعى في هذه الفترة النبوة ، ويروى في ذلك أن أبا الطيب لما ذهب إلى قبيلة " كلب " وأقام فيها ادعى النبوة إلى أن اشتهر بالكذب وحبس دهرأ طويلاً وأشرف على القتل ثم أعلن التوبة وأطلق .

ويروى كذلك أنه أعلن النبوة في " بادية السماوة " إلى أن خرج عليه أمير حمص فقاتله وأسرته وشرده من انضم إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل ، وحبسه في السجن حبساً طويلاً فمرض وكاد أن يموت ثم أعلن توبته ، وكتب عليه وثيقة شهد فيها ببطلان ما ادعاه ، ويرى بعض النقاد أن السبب في

سجن المتنبى لم يخن ادعاءه النبوة وإنما كان بعد مطامعه وكبر آماله حتى ظن والى حمص به السوء وظن أنه سينزعه عن ملكه.

وهكذا كانت الروايات متناقضة في أخبار ادعاءه النبوة ، ويبدو أن مؤرخيه ادعوا نبوته لأنه كان واسع الآمال ، كبير المطامع ، كما يبدو أن رواية ادعاء النبوة كانت كذبة تلتصق بكثير من الناس كما كانت تهمة الزندقة تلتصق ببعض الكتاب والشعراء في عهد العباسيين .

ولما خرج من السجن هام على وجهه في البلاد يستجدي بشعره ويمدح من لاقاه سواء كان عظيماً أو حقيراً حتى اتصل بسيف الدولة الحمداني وأخذ لايمدح أحداً سواه لمدة تسع سنوات ، وكان إجمالى ما قاله فيه يعادل ثلث شعره وهو من أعظم قصائده ، وبعد أن هجر سيف الدولة رحل إلى دمشق ثم اتجه إلى مصر وفيها حاول التقرب من كافور الإخشيدي على أمل أن ينال منه ولاية، ولما رأى أبو الطيب أنه لم يفز من كافور بشئ غادر مصر وهجاه قبل مغادرتها بيوم واحد بقصيدته المشهورة :-

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد؟

وله في هجائه قصائد أخرى من أجود الشعر العربي ، وبعد أن غادر مصر ذهب إلى الكوفة ثم رحل إلى بغداد ثم راسله العميد من أرجان فسار إليه ومدحه بقصائد عدة ، ثم اتصل بعضد الدولة في شيراز .

وقد أجاد المتنبى المديح وأكثر منه ، أما وصفه للوقائع الحربية فقد بلغ فيه الذروة ، وقد دفعته حروب سيف الدولة وانتصاراته إلى الإشادة بفتوحاته ، وكان يجيد الرثاء والحكمة كما كان كثير الزهو بنفسه ، دائم الإعجاب بمواهبه فكثرت في شعره الفخر وهو القائل : -

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

وهو القائل أيضاً :-

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

وفى أحد أسفاره قتل فى الطريق ، وقد قتله رجل من بنى أسد يسمى "فاتك بن أبى جهل" ومعه جماعة من الأعراب وهو خال " ضبه بن يزيد العيني" الذى هجاه المتنبى أفدح هجاء ... ويقال أنه لما اشتد القتال هم المتنبى بالفرار فقال له غلامه :

أتهرب وأنت القائل :

الخيال والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه المتنبى " قتلتنى ورب الكعبة " ، وعاد وقاتل حتى قتل وابنه واحد غلاميه بالقرب من بغداد.